تدبيرهم وداخل في باب الازراء والتحقير بالنبي عليه السلام وتفضيل حال غيره عليه
وكذلك قوله: لولا انقطاع الوحي بعد محمد ... قلنا محمد من ابيه بديل ... هو مثله في الفضل الا انه ... لم ياته برسالة جبريل. فصدر البيت الثاني من هذا الفصل
شديد لتشبيهه غير النبي في فضله بالنبي والعجز محتمل لوجهين احدهما ان هذه
الفضيلة نقصت الممدوح والآخر استغناؤه عنها وهذه اشد ونحو
منه قول الآخر: واذا ما رفعت راياته ... صفقت بين جناحي جبريل. وقول
الآخر من اهل العصر: فر من الخلد واستجار بنا ... فصبر الله قلب رضوان. وكقول
حسان المصيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد وفي
وزيره ابي بكر بن زيدون: كان ابا بكر ابو بكر الرضى ... وحسان حسان وانت
محمد. الى امثال هذا وانما اكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف
امثلتها ولتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم
فادح هذا العبء وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم وتحسبونه
هينا وهو عند الله عظيم لا سيما الشعراء واشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا
ابن هانئ الاندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما الى حد
الاستخفاف والنقص وتصريح الكفر وقد اجبنا عنه وغرضنا الآن الكلام
في هذا الفصل الذي سقنا امثلته فان هذه كلها وان لم تتضمن سبا
ولا اضافت الى الملائكة والانبياء نقصا ولست اعني عجزي بيتي المعري
ولا قصد قائلها ازراء وغضا فما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة
الاصطفاء ولا عزز حظوة الكرامة حتى شبه من شبه في كرامة نالها او معرة قصد
الانتفاء منها او ضرب مثل لتطييب مجلسه او اغلاء في وصف لتحسين كلامه بمن
عظم الله خطره وشرف قدره والزم توقيره وبره ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت
عنده فحق هذا ان درئ عنه القتل الادب والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله
ومقتضى قبح ما نطق به ومألوف عادته لمثله او ندوره او قرينة كلامه او ندمه على
ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد انكر الرشيد
على ابي نواس قوله: فان يك باقي سحر فرعون فيكم ... فان عصا موسى بكف خصيب

وقال

وقال له يا ابن اللخناء انت المستهزئ بعصا موسى وامر باخراجه من عسكره
من ليلته وذكر القتيبي ان مما اخذ عليه ايضا وكفر فيه او قارب قوله في محمد الامين
وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله عليه وسلم: تنازع الاحمدان الشبه فاشتبها ... خلقا وخلقا كما قد الشراكان
وقد انكروا عليه ايضا قوله: كيف لا يدنيك من امل ... من رسول الله من نفره. لان حق الرسول وموجب تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف
اليه ولا يضاف هو الى غيره فالحكم في امثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا
على هذا المنهاج جاءت فتيا امام مذهبنا مالك بن انس رحمه الله واصحابه ففي النوادر
من رواية ابن ابي مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد
رعى النبي صلى الله عليه وسلم الغنم فقال مالك قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه
ارى ان يؤدب قال ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطأت
الانبياء قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتبا يكون ابوه عربيا
فقال كاتب له قد كان ابو النبي كافرا فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب
لي ابدا وقد كره سحنون ان يصلى على النبي عليه السلام عند التعجب الا على طريق الثواب
والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله وسئل القابسي عن رجل قال لرجل
قبيح الوجه كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه وجه مالك الغضبان فقال اي
شيء اراد بهذا ونكير احد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي اراد اروع دخل
عليه حين رآه من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة خلقه فان كان هذا فهو
شديد لانه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب
للملك وانما السب واقع على المخاطب وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء
قال واما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره عندما انكر من عبوس
الآخر الا ان يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته فيشبهه القائل على طريق الذم
لهذا في فعله ولزومه في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول
كانه لله يغضب غضب مالك فيكون اخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا
ولو كان اثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان اشد ويعاقب
المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال ابو الحسن ايضا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com) 1